**أثر معتقدات بعض الفرق الإسلامية
على النحو
المعتزلة نموذجاً-**

م. د. مثنى فاضل ذيب

الجامعة العراقية / كلية الآداب

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، أنزله بلغة العرب فتحدى بإعجازه الإنس والجن بأن يأتيوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وجعل من آياته المحكم والمتشابه ليبتلي عباده فيميز المؤمنين ممن ضلوا وزاغوا باتخاذهم طريق الاعوجاج في الفهم لها سيلاً، والصلاة والسلام على خير خلق الله الهادي البشير أفصح من نطق بالضاد، الذي أخرج الله به من الظلمات إلى النور العباد، القائل تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك المبعوث رحمة للناس كافة إلى يوم المعاد، وعلى صحبه الأخيار الأطهار، وآله الأبرار، ما اتصل ليل بنهار، وتدفقت مياه البحار والأنهار، وعلى من سار على نهجه واتبع هداه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سبحانه الواحد القهار.

أما بعد:

فإن اللغة العربية بحر واسع الأرجاء، مترامي الأثناء، شديد الأصداء، ذو لون بهي، وصوت شدي، ووقع ندي، لغة يعجز اللسان عن وصف محاسنها، ويقف حائراً في إحصاء مفاتها، ويدهش متلداً في تعداد ميزاتها.

لغة اختارها الله جل وعلا لتكون لغة خاتمة الديانات، وخاتم الرسل لتكون لغة القرآن آخر كتاب سماوي، ووحى إلهي، لغة تعلمها من أجل المطالب، وإتقانها يورث المروءة، وطلبها دين يعبد الله به، كيف لا؟ والجاهل بها جاهل بمرادات الله في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ.

والعرب كما هو معلوم قبل الإسلام وفي صدره كانوا يتكلمون باللغة العربية على السليقة، ويتعلمونها بالتلقي تماماً كما نتعلم لغاتنا في هذه الأيام بالتلقي من الأهل والمدرسة والشارع، فكانوا يرفعون الفاعل، والمبتدأ والخبر، واسم كان، وخبر إن، إلى غير ذلك من المرفوعات، وينصبون المفعول به، والحال، والتمييز، والمفعول لأجله، إلى غير ذلك من المنصوبات، وكذا يجرون المجرورات بأنواعها من دون الحاجة إلى تعلم قاعدة، ودراسة منهج، مع الفهم الكامل لدلالات الكلمات والمعاني التي تقيدها في التراكيب المختلفة، سواء أسماء أكانت، أم أفعالا، أم حروفاً، ولكن عندما امتدت لغة العرب مكاناً بامتداد الإسلام ليتكلم بها أقوام ليسوا بعرب من الفرس والروم وغيرهم، ومع اختلاط العرب بهم، ونشوء أجيال بين ظهرانيهم، بدأ اللحن يدب سريعاً في لغات الناس، ثم بدأت اللغة العربية تضعف شيئاً فشيئاً، وأخذت الغرابة والاستغراب تكتنف كلمات هذه اللغة، وبالتالي المعاني المستفادة منها مما حدا بأهل العلم والبصيرة للتحرك سريعاً لجمع هذه اللغة، وتقنين قواعدها، وترسيخ طرائقها، وتثبيت سننها، مع التحقيق الكامل للاختلافات فيها في

الاستعمال، والإشارة إلى المعاني المستفادة من كلماتها، وكيفية التوصل إليها، فظهرت بسبب ذلك العلوم الخاصة باللغة، فلم يبحث في تحريك الكلمة وموضعها من الجملة وقاعدة إعرابها والإفصاح عن معناها، وآخر بنائها، وتصريفاتها والاشتقاق فيها، وآخر بمعانيها وأساليبها، وطرق الجمال والتحسين فيها.

وهذا الذي أشرنا إليه معلوم مقرر لكن الملفت في الأمر والمثير فيه أن اللغة العربية بعلمها صارت وسيلة فعالة ومؤثرة في كل علوم الشريعة من الفقه والعقيدة والتفسير والأصول والحديث، فهذه العلوم كلها تقوم على اللغة العربية، وتستمد مقرراتها وضوابطها منها، فكما قرنا أن الدين الإسلامي المتمثل بالقرآن والسنة جاء بلغة العرب، والأغرب من هذا والأشد عجبا أن تكون اللغة العربية سببا في ظهور اختيارات خاصة في العقيدة، وتوجهات غريبة ودخيلة على الإسلام، فالمعلوم أن الفرق الإسلامية ذات التوجهات المختلفة بدأت بالظهور في أواسط عصر الصحابة، وأخرى ظهرت وانتحلت معتقدات معينة أثر في إيجادها عوامل عدة، وأسباب مختلفة، ورفضها وإنكارها وردها لم يكن بالأمر العسير؛ لوجود الصحابة حينها ولكن وبعد انقراض عصر الصحابة استفحل شأن هذه التوجهات، وقويت شوكتها وبالأخص بعدما تبنها بعض أولي الأمر، وفتحوا الباب لها على مصراعيه لتصول وتجول في ميادين التصدر، وهذا ما أتاح لها مجالا واسعا لتنتفرغ لبحث فكرها ومحاولة إقراره بالدليل؛ وبما أن مجال العقائد مجال خطير، والاستدلال له صعب وعسير، خصوصا مع الغرابة وإنكار العلماء له، توجه أصحاب هذه الأفكار إلى القرآن والسنة لعلمهم يجدون ما يؤيد فكرهم، ويقرر توجههم وإدراكهم لوعورة هذه المسلك، وصعوبة السير في هذه الطريق أخذوا يؤولون النصوص، ويعطونها دلالات أخرى، ويحملونها على معاني غير التي تدل عليه عند فرق أخرى، مستخدمين علوم الآلة لتحقيق مراميهم ومنها وعلى رأسها علم النحو.

وفي هذا البحث الموجز والمحدود سأسلط الضوء على بعض النقاط المتعلقة بأثر العقيدة على النحو من خلال تناول فرقة من الفرق، وبعض معتقداتها، وكيفية استدلالهم لمعتقدهم هذا عن طريق علم النحو، مشيرا إلى أن علم النحو لم يكن هو الموجه لهم في اختيارهم العقدي، بل وسيلة لتقريره بعد تثبيته بناء على مقدمات اعتمدها وقضايا تبنوها.

واخترت في هذا البحث كمثال يوضح هذه الحقيقة فرقة المعتزلة مشيرا إلى بعض اختياراتهم العقديّة التي حاولوا تقريرها بواسطة علم النحو.

وأنا أقر بأن البحث واسع الأرجاء، متشعب الأنحاء، يحتاج إلى تضافر جهود واستقصاء، وتتبع فالفرق كثيرة متعددة وأفكارها متنوعة متشعبة، والكل يحاول أن يستدل لإقرار

معتقده، وتثبيت توجهه، ولكني أضعه لبنة وحجر أساس، ونقطة انطلاق لي ولغيري من الباحثين عسى الله أن يوفقنا لإتمامه والتوسع فيه خدمة لدينه القويم وكتابه الكريم وسنة نبيه المشرفة. وختاماً لهذه المقدمة، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم ذا العزة والكبرياء ذا الطول والأنعام، أن يوفقني وجميع المسلمين لما يحب ويرضى، وأن يأخذ بناوصينا إلى الخير والهدى، وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً وإيماناً، وأن يجنبنا المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعل أعمالنا في رضاه وأن يهدينا سبيل السلام، وأن يدخلنا الجنة بسلام إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المطلب الأول

نظرة سريعة في علم النحو والتعريف به وبشأنه وعلاقته بالعلوم الشرعية

قبل الدخول في الموضوع، وقبل نقاش حيثياته لا بد من بيان موجز للمقصود من علم النحو، وأسباب نشوئه، والثمرة المأخوذة منه؛ لما فيه من إيضاح للمقصد من هذا البحث، وتسايط للضوء على كيفية استخدام هذا العلم كوسيلة لتقرير التوجهات العقدية التي تنبتها هذه الفرق وثبتتها.

١. المقصود بعلم النحو وعلاقة علم الإعراب به :

إن علم النحو: هو علم يبحث في أصول تكوين الجملة وقواعد الإعراب. فغاية علم النحو إذن والمقصود منه هو أن يحدد أساليب تكوين الجمل، ومواضع الكلمات، ووظيفتها فيها كما يحدد الخصائص التي تكتسبها الكلمة من ذلك الموضوع، سواءً أكانت خصائص نحوية كالابتداء والفاعلية والمفعولية، أو أحكاماً نحوية كالتقديم والتأخير والإعراب والبناء. وفي تعريفه قال ابن جني: «هو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شد بعضهم عنها رد به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحواً، كقولك: قصدت قصداً، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم...»^(١).

فالنحو على وفق ما ذكره ابن جني على هذا هو محاكاة العرب في طريقة كلمهم تجنباً للحن، وتمكيناً للمستعرب في أن يكون كالعربي في فصاحته وسلامة لغته عند الكلام.

وهذا أبو عمرو بن العلاء أستاذ الخليل بن أحمد الفراهيدي يعرف النحوي فيقول: «إنما سمي النحوي نحوياً؛ لأنه يصرف الكلام إلى وجوه الإعراب واللحن مخالفة الإعراب»^(٢).

ويقول النحاة في تعريفه - أيضاً - إنه: «علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناء»^(٣). ويذكر الأستاذ إبراهيم مصطفى غاية النحو عند النحاة فيقول: «فغاية النحو بيان الإعراب وتفصيل أحكامه حتى سماه بعضهم علم الإعراب»^(٤).

فالنحو إذن هو: «إعراب الكلام العربي»^(٥)، ولأهمية الإعراب وشموليته لمعظم قضايا النحو نجد أن النحاة يسمون النحو إعراباً والإعراب نحواً، وإذا نظرنا إلى تعريف كُلِّ من النحو والإعراب نجد تشابهاً واضحاً بينهما فالإعراب كما جاء في تعريفه يعني: «الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها...»^(٦). ويقول الزجاجي: «ويسمى النحو إعراباً والإعراب نحواً سماعاً؛ لأن الغرض طلب علم واحد»^(٧).

وهذا التعريفات للنحو والإعراب تظهر مدى صلة النحو بالإعراب فهو يصرف الكلام إلى وجوه الإعراب وحالاته السليمة.

والنحو في اللغة هو القصد أو المثل، وسمي العلم بهذا الاسم لقصد المتكلم أن يتكلم بمثل كلام العرب، كما يسمى هذا العلم أيضاً بـ (علم الإعراب) لأنه به يعرف.

وفي المعاجم اللغوية أنّ معنى (النَّحْوُ): «لَقَصْدُ والطَّرِيقُ يكون ظرفاً ويكون اسماً نَحَاه يَنْحُوهُ وَيَنْحَاهُ نَحْوًا وَانْتَحَاهُ»^(٨). و«(نحو): الشَّيْءُ وَإِلَيْهِ: مال إليه وقصدَه؛ نحا الصَّدِيقان إلى المقهى. - نحوه: سار على إثره وقلده؛ نحا الطَّالِب نحوَ أستاذه - كذا عنه: أبعده وأزاله؛ نحا عن نفسه الجُبْنَ والكسل»^(٩). وأورد نحواً من هذا الفيروزآبادي في قاموسه^(١٠).

ومن ذلك فقد سمي علم النحو بهذا الاسم؛ لأن المتكلم ينحو به منهاج كلام العرب إفراداً وتركيباً.

وعلى هذا فإنه يدخل في موضوع هذا العلم تمييز الاسم من الفعل من الحرف، وتمييز المعرب من المبني، وتمييز المرفوع من المنصوب من المخفوض من المجزوم، مع تحديد العوامل المؤثرة في هذا كله، وقد استنبط هذا كله من كلام العرب بالاستقراء، وصار كلام العرب الأول شعراً ونثراً - بعد نصوص الكتاب والسنة - هو الحجة في تقرير قواعد النحو في صورة ما عرف بالشواهد اللغوية، وهو ما استشهد به العلماء من كلام العرب لتقرير القواعد.

وعن طريق الإعراب تستطيع معرفة الفاعل أو المفعول به في الجملة حتى لو تم تقديم المفعول به على الفاعل، مع أنه تقريباً في جميع لغات العالم يكون الترتيب: فاعل ثم مفعول به، قال صاحب

التعريفات: «الإعراب هو اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظاً أو تقديراً»^(١١). وتصنف حالات الإعراب في هذه الحالة بالرفع، وعلامته الضمة أو الواو أو ثبوت النون، والنصب وعلامته الفتحة أو الألف أو حذف النون، والجر علامته الكسرة أو الياء أو حذف النون، والجزم، علامته السكون أو حذف النون أو حذف حروف العلة. كما يوجد التثوين على تكثير الاسم^(١٢).

ومثال على ما تقدم: - زار محمدٌ خالدًا. (الفاعل: محمد، المفعول به: خالد) بمعنى: قام محمد بزيارة خالد، و الجملة هنا واضحة و تنطق في أغلب لغات العالم بهذا الترتيب. - زار خالدًا محمدًا. أيضاً (الفاعل: محمد، المفعول به: خالد) بمعنى: تمت زيارة خالد بواسطة محمد. فعرّفنا عن طريق علامة الرفع (الضمة) أنّ الفاعل دائماً مرفوع، وإعرابه هنا فاعل مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

إذاً فالإعراب أحد أهم الأسباب لتفوّق الأدب العربي سواء أكان في الشعر أم النثر أم القصص.. إلخ على لغات العالم، فعندما تعطي شخصان أحدهما صلصال والآخر حجر فسألنهم تكوين مجسم جمالي، فبال تأكيد سيكون إبداع صاحب الصلصال أكبر من صاحب الحجر؛ فتم التشبيه بالصلصال والحجر بناءً على مثال تقديم وتأخير الفاعل.

٢. موضوع علم النحو وثمرته :

بناء على ما تقدم فإن موضوع علم النحو يتمثل بضبط أواخر الكلمات إعراباً وبناءً بحسب موقعها من الجملة على نحو ما يتكلم به العرب، وتحقيق المعاني المرادة وفهمها، وتوجيهها من الكلام عن طريق هذا الضبط، ومن هنا تبرز أهمية علم النحو كأحد العلوم المؤثرة في توجيه المرادات، وضبط المعاني وتحديدها.

وثمره هذا العلم: هو في تحمل اللغة وأدائها من جهة علاقة الإعراب بالمعنى كما تقدم. والمقصود بالتحمل هنا: فهم المقصود من كلام الغير بحسب إعرابه، فيميز المُسند كالخبر والفعل من المسند إليه كالمبتدأ والفاعل، والفاعل من المفعول، وغير ذلك مما يؤدي إهماله إلى قلب المعاني.

والمقصود بالأداء: أن يتكلم المرء بكلام معرب يُناسب المعاني التي يريد التعبير عنها، ويتخلص من اللحن الذي يقلب المعاني، فيتمكن بذلك من إفهام الغير.

٣. سبب نشأة علم النحو (هو حماية القرآن الكريم من اللحن والتحريف):

بعد المد الإسلامي في العالم واتساع رقعة الدولة الإسلامية دخل كثير من الشعوب غير العربية في الإسلام، وانتشرت العربية كلغة بين هذه الشعوب؛ لأن الإسلام لا تعرف أحكامه إلا بمعرفة لغة العرب؛ فالقرآن والسنة دستور المسلمين ومصدر تشريعهم. هذا الانتشار الواسع للغة العربية أدى إلى دخول (اللحن)^(١٣) في اللغة العربية وتأثير ذلك على العرب، فدعت الحاجة علماء ذلك الزمان لتأصيل قواعد اللغة لمواجهة ظاهرة اللحن خاصة في ما يتعلق بالقرآن والعلوم الإسلامية^(١٤).

وفي هذا المقام يقول الزبيدي: «ولم تزل العرب تنطق على سجيبتها من صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا عليه إرسالا واجتمعت فيه الأسنة المتفرقة واللغات المختلفة ففشا الفساد في العربية واستبان منها في الإعراب الذي هو حليها والموضح لمعانيها فتقطن»^(١٥). ويقول الدكتور فتحي الدجيني: «إن الأخطاء التي ذكرها الرواة في شأن اللحن والتي تتعلق بطبيعة النشأة نجدها تتركز في العلامات الإعرابية»^(١٦).

ومهما اتفقت الأخبار في أن اللحن هو الباعث الأول والسبب الرئيس في وضع النحو وجمع اللغة وتدوينها واستنباط القواعد وتصنيفها^(١٧)، فإنها تختلف في نوع السبب والباعث المباشر المفضي إلى وضعه؛ إذ اختلفت الروايات التاريخية في الأسباب المباشرة التي حدت إلى وضع بدايات النحو، قال السيرافي في أخباره: «وقد اختلف الناس في السبب الذي دعا أبا الأسود إلى ما رسمه من النحو»^(١٨)، لكن القصة الأشهر التي يتداولها الكتاب إن النحو نشأ لما سمع أبو الأسود أعرابيا يقرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [سورة التوبة: الآية: ٣]، بالجر فقال: لا تطمنن نفسي إلا أن أضع شيئا أصلح به لحن هذا أو كلاما هذا معناه.^(١٩)

ويروى عن أبي الأسود أنه دخل على: «أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرأيتَه مطرقا متفكرا فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين، قال إني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية، فقلت: إن فعلت هذا أحبيبتنا وبقيت فينا هذه اللغة ثم أتيت بعد ثلاث فألقى إلي صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم، وفعل، وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ثم قال لي: تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر وإنما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر، قال أبو

الأسود: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها (إن، وأن، وليت، ولعل، وكأن) ولم أذكر (لكن)، فقال لي: لم تركتها، فقلت: لم أحسبها منها فقال بل هي منها فزدها فيها^(٢٠).

وروي - أيضاً - «أن أبا الأسود الدؤلي دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له: يا أبت ما أشدُّ الحر! رفعت أشد فظننا تسألُه وتستفهم منه: أي زمان الحر أشد؟ فقال لها: شهر ناجر، يريد شهر صفر. الجاهلية كانت تسمى شهور السنة بهذه الأسماء. فقالت: يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك. فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم، وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل، فقال له: وما ذلك؟ فأخبره خبر ابنته، فأمره فاشترى مصحفاً بدرهم، وأمل عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ جاء لمعنى^(٢١)، أي: في قواعد العرب.

ومع ما تقدم من روايات يبقى الحافظ الأول الذي حفز أبا الأسود إلى وضع النحو، هو أنه يدرك تماماً أن أخطر أنواع اللحن على الإطلاق هو اللحن في قراءة القرآن الكريم وتلاوته؛ لأن اللحن فيه قد يُخلُّ بمقاصد الآيات التي يلحن فيها ويُغيِّر من المعنى المقصود من الآية، ذلك أن بعض وجوه التعبير تختلف معانيها باختلاف الإعراب؛ فدعاه ذلك إلى وضع النحو^(٢٢).

٤. عامل نشأة النحو هو عامل ديني واجتماعي:

حين استبصرنا فيما مضى من آراء في الكلام عن أسباب نشأة النحو خلصنا بنتيجة مفادها أن خوف المسلمين على القرآن الكريم من اللحن في قراءته أو التصحيف في أحرفه، هو الباعث الرئيس وراء محاولة المسلمين درء الخطر الذي كان يتهدد لغة القرآن نتيجة ذلك. لكن اللافت للنظر هو توسع دائرة القول في هذه المسألة ليشمل عوامل أخرى، فضلاً عن العامل الديني الذي نوهنا عنه، فمن الباحثين من جعل العامل القومي، والسياسي عوامل أخرى مؤثرة في نشأة النحو ووضعه^(٢٣)، ومنهم من أضاف عاملاً اجتماعياً، ليزيد دائرة القول تنوعاً وتعددًا^(٢٤).

وثمة عامل آخر فضلاً عن العوامل الأخرى التي ذكرناها، يكمن في رُقي العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نمواً أعددُه للنهوض برصد الظواهر اللغوية، وتسجيل الرسوم النحوية تسجيلاً تطردها فيه القواعد، وتتظلم فيه الأقيسة انتظاماً يهيئ لنشوء علم النحو ووضع قوانينه الجامعة المشتقة من الاستقصاء الدقيق للعبارة والتراكيب الفصيحة، ومن المعرفة التامة بخواصها وأوضاعها الإعرابية^(٢٥).

لكن يبقى للعاملين الديني والاجتماعي كبير الأثر في نهوض الدراسة اللغوية^(٢٦)، بعكس العاملين الآخرين فأنهما أقل تأثيراً، بل إن بعضهم لم يذكر العامل السياسي من ضمن العوامل المؤثرة في هذه النهضة^(٢٧).

وعلى ما يبدو هنا أن العامل الاجتماعي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعامل الديني، ومما يستدل به على العامل الديني والاجتماعي، ما ذكره القفطي: «أن زياداً ابن أبيه قال لأبي الأسود: إن بني يلحنون في القرآن فلو رسمت لهم رسماً، فنقط المصحف فقال: إن الظئر - المرضع - والحشم قد أفسدوا ألسنتهم فلو وضعت لهم كلاماً، فوضع العربية»^(٢٨).

ويذكر ابن عساكر «أن زياداً أرسل إلى أبي الأسود وقال: إن هؤلاء الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو صنعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون كتاب الله فكره أبو الأسود إجابة زياد حتى سمع قارئاً يقرأ (آية التوبة) ولحن فيها - كما مر ذكره - فرجع أبو الأسود من فوره وقال: قد أجبته إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن»^(٢٩).

وذكر الزبيدي رواية مفادها «أن أبا الأسود هو الذي جاء إلى زياد وقال: إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب كلاماً يقيمون به كلامهم؟ قال: لا. فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنون، فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون!! ادع لي أبا الأسود فقال: ضع للناس الذي كنت نهيتك عنه أن تضع لهم»^(٣٠).

وأيضاً كان الأمر طلباً أبو الأسود من زياد أو العكس فإن المهم أن هذه الروايات تدل بوضوح على أن الباعث على نشأة النحو كان دينياً واجتماعياً، أما الإشارة إلى العامل الديني فنجدها في قول أبي الأسود المتقدم: «قد أجبته فيما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن»، وكذلك قول زياد: «فلو صنعت للناس شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون كتاب الله» وأما العامل الاجتماعي فيمكن في قوله: إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب أو قوله: «إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم...».

ونخلص مما ذكرنا أن العامل الديني والاجتماعي كان لهما الأثر البالغ في استنهاض الهمم وتفعيل الدراسة النحوية واللغوية وأن العامل الاجتماعي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعامل الديني حيث أن العامل الديني يتمثل من خوف المسلمين على القرآن الكريم أن يتسرب لحن إلى تلاوته أو تصحيف في أحرفه، واللحن جاء نتيجة لمخالطة العرب بالأعاجم الناجمة عن توسع رقعة الدولة الإسلامية ودخول كثير من الموالي في الإسلام، وحاجة هؤلاء الموالي ورغبتهم في تعلم لغة القرآن والمجتمع الذي أصبحوا جزءاً منه وهذا هو العامل الاجتماعي.

٥. علاقة علم العربية بالعلوم الشرعية:

إن القرآن الكريم هو أولاً وقبل كل شيء جاء على لغة العرب ومقتضيات التفكير والتعبير لديهم، ولما كان القرآن قد أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين، فأن العلم به لا بد أن ينبني على معرفة باللغة العربية وخصائصها ودلالات ألفاظها وأوجه أعرابها، فكبار الصحابة قديماً أدركوا أثر المعرفة اللغوية في العلوم الشرعية، فدعوا إلى تعلمها وضبط دقائقها، وعدوا ذلك من أولويات تعلم علوم الشرع. جاء في الأثر أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري: «أما بعد: فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعرّبوا القرآن فإنه عربي»^(٣١).

فمعرفة القرآن متوقفة على معرفة اللغة والإعراب، بل إن معرفة اللغة العربية هو الطريق إلى الدين فمن الآثار الأخرى التي نطالعتها حديث عمر - أيضاً- إذ قال: «تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم»^(٣٢).

وهذا ابن عباس حبر الأمة ورائدها في التفسير يدرك هو الآخر أن حجية التفسير ومشروعيته إنما تستمد بالاعتماد على اللغة، فكان أول المفسرين اهتماماً باللغة وكلام العرب وأشعارها في تفسيره^(٣٣).

إذن معرفة اللغة العربية شرط في فهم القرآن وتفسيره، بل إنها شرط في فهم الشريعة وأحكامها كلها، كما يرى الشاطبي في موافقاته إذ قال: «لأبد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عُرْفٌ مستمرٌ فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب»^(٣٤). ولهذا كان القرآن أهم البواعث على العناية باللغة العربية وأولها وأهمها علم النحو^(٣٥). فكان النحاة مرجعاً لعلماء التفسير، ولا يستطيع دارس علوم القرآن أن يأخذها بحقها إلا بعد الانطلاق من العلوم العربية المختلفة.

ويقوي منزلة العربية في فهم الأحكام وبعضه، ما قاله صاحب الصاحب في باب القول في الاحتجاج باللغة العربية: «وإنما العيب على من غلط من جهة اللغة فيما يغير به حكم الشريعة والله المستعان. فذلك قلنا: إن علم اللغة كالواجب على أهل العلم، لئلاً يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستواء، وكذلك الحاجة إلى علم العربية، فإن الإعراب هو الفارق بين المعاني»^(٣٦).

وهكذا فإن العلم بالعربية، هو ركن رئيس يرتقي به طالب العلم إلى مراتب شرف العلوم الإسلامية.

٦ . علاقة علم النحو على وجه الخصوص بالعلوم الشرعية :

ولما كان النحو هو «إعراب الكلام العربي»^(٣٧) - كما تقدم - فقد مدح العلماء النحو، وحثوا على تعلمه، واجتتاب الجهل به، بل إن الجهل به مُسقط لطالب العلم، قال الأصمعي: أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي ﷺ «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٣٨).

وقال شعبة: «من طلب الحديث فلم يبصر العربية فمثله مثل رجل عليه برنس، وليس له رأس»^(٣٩).

بل إن حماد بن سلمة تعدى الخطوط الحمراء حين شبه طالب العلم الجاهل بالنحو على وجه الخصوص، وبالعبدية على وجه العموم، فقال: «من طلب الحديث ولم يتعلم النحو - أو العربية - فهو كمثل الحمار تعلق عليه المخلاة ليس فيها شعير»^(٤٠).

وهكذا نرى أن المحدثين كغيرهم من أهل الاختصاص في العلوم الإسلامية، يشترطون في طالب علم الشرعي أن يمتلك أليات الطالب التي تؤمنه وتحزره من الوقوع في الخطأ والتصحيح.

ولا شك أن طالب العلم الشرعي يتأكد في حقه تعلم اللغة العربية والنحو أكثر من غيره، وبهذا الصدد يقول الزمخشري ما نصه: «إنهم لا يجدون علماً من العلوم الإسلامية فقهياً وكلامياً وعلمياً تفسيرياً وأخبارياً إلا وافقاره إلى العربية بين لا يدفع ومكشوف لا يتقنع وبرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبني على علم الإعراب والتفسير مشحونة بالروايات عن سيبويه والأخفش والكسائي والفراء وغيرهم»^(٤١).

بل إن تعلم النحو شرط من شروط الفقيه؛ لأنه يبني عليها استنباطاته وأحكامه، يقول الشنتريني: «لا يجوز أن يفتي الناس في الفقه من كان عارياً من النحو، ومتى فعل ذلك أخطأ وأثم وتعدى وظلم...»^(٤٢).

ولا غرابة فيما ذكرناه في ذلك كله، أن تتوقف معرفة أحكام الشريعة والفتيا على معرفة اللغة والإعراب، وأن يكون العلم الذي استنبط به العلماء الأحكام، وبمعرفته ميزوا الحلال والحرام^(٤٣). فلا غنى عن تعلم النحو في كل علم يستمد من العلوم الإسلامية.

٧ . علاقة علم العقيدة بعلم النحو :

قبل البدء لابد من تعريف موجز للعقيدة لغة واصطلاحاً، والعقيدة في اللغة: كلمة مأخوذة من العقد والربط والشّد بقوة، ومنه الأحكام والإبرام، والتماسك والمراسمة^(٤٤).

وفي الاصطلاح: العقيدة تطلق على الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان ويعقد عليه قلبه وضميره، ويتخذه مذهباً وديناً يدين به؛ فإذا كان هذا الإيمان الجازم والحكم القاطع صحيحاً كانت العقيدة صحيحة، كاعتقاد أهل السنة والجماعة، وإن كان باطلاً كانت العقيدة باطلة كاعتقاد فرق الضلال^(٤٥).

وعلم العقيدة يرتبط بعلوم اللغة العربية ارتباطاً وثيقاً قوياً، ذلك أن العقيدة الصحيحة إنما تؤخذ من الكتاب والسنة، وفهمها بتأويلٍ وبدون تأويلٍ مُعتمداً على معرفة اللغة العربية وعلومها المختلفة، فكل يطمع في «تأويل القرآن إلى اللغة في أن تكون الحجة اللغوية برهاناً على صحة تأويلهم وفساد تأويل غيرهم، فبات الدليل اللغوي على صحة التأويل دليلاً مادياً موضوعياً على أحدية التأويل وإقصاء ما عداه مما لا تحتمله اللغة فكان ذلك من الأسباب الدافعة على دراسة اللغة العربية»^(٤٦).

ومن العلماء من ذهب إلى أبعد من ذلك، بأن جعل المرجع في الخلاف العقدي، هو التفاوت الحاصل في اللغة، ففي نظره أن «أكثر الخلافات في الأديان، إنما منشؤها تفاوت الدرجات في علم اللسان»^(٤٧).

ولا شك أن هناك تلازماً بين علوم العربية وعلوم القرآن والشرعية عامة وعلم العقيدة منها خاصة، فلا غنى لأي منها عن الآخر، وخير دليل ما أورده ابن جنّي، إذ عنون باباً في خصائصه أسماه: (باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية). جاء في مطلعها: «اعلم أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب، وأن الانتفاع به ليس إلى غاية ولا وراء من نهاية. وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها وحاد عن الطريقة المثلى إليها وإنما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة، التي خوطب الكافة بها، وعرضت عليها الجنة والنار من حواشيتها وأحنائها، وأصل اعتقاد التشبيه لله تعالى بخلقه منها، وجاز عليهم بها وعنهما»^(٤٨).

بهذا الباب الذي عقده ابن جنّي تتكشف لنا حقيقة الارتباط الوثيق بين علم العربية والعقيدة، ومدى حاجة الدارس للعقائد إلى المعرفة اللغوية.

والعقيدة هي التوحيد^(٤٩)، بفروعه الثلاثة: (توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات)، وتوحيد الصفات هو إثبات ما وصف الله به نفسه وبما وصفه به نبيه^(٥٠)، والقرآن مملوء بتقرير هذه الفرع من التوحيد وبيانه وضرب الأمثال له، وقد أكدت آيات الذكر الحكيم وفي مواطن كثيرة صفات الله باستخدامات لغوية متنوعة. بل إن كثيراً من الاختلافات بين

الفرق، في توجيه الآيات القرآنية قائم على أساسٍ نحوي، مما يدعونا إلى الرجوع إلى اللغة وفنونها والانطلاق منها في هذا التوجيه.

وقد حظيت الدراسات اللغوية بعناية فائقة من لدن أصحاب الفرق، وكان النحو من ابرز علوم اللغة التي تأثرت بمعطيات معتقداتهم، فأصبحنا نقرأ في كتب التفسير وغيرها، وصف العلماء لطائفة من التوجيهات الإعرابية بقولهم (وهذا إعراب فرقة.. وهذا إعراب فرقة..) مما يدل على أثر آرائهم العقدية على النحو بشكل خاص. وهذا ما سأبينه في المطلب الثاني.

المطلب الثاني

المعتزلة وأثر بعض معتقداتهم في علم النحو:

١. تعريف المعتزلة لغة واصطلاحاً:

أ. الاعتزال لغة: مأخوذ من عزل الشيء يعزله عزلاً وعزله فاعتزل وانعزل وتعزل؛ نحاها جانباً ففتحى، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ [سورة الشعراء: الآية: ٢١٢]، معناه أنهم لما رموا بالنجوم منعوا من السمع، واعتزل الشيء وتعزله - ويتعديان بعن - تتحى عنه، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَّمْ تُوْمَأْوِلُوا فَاصْزَلُوا﴾ [سورة الدخان: الآية: ٢١]، أراد إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا علي ولا معي. وعلى هذا فالاعتزال في اللغة: معناه: الانفصال والتتحي، والمعتزلة هم المنفصلون^(٥١).

ب. تعريف المعتزلة اصطلاحاً: اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب وأصل بن عطاء الغزال، الذي ولد (سنة ٥٨ هـ) وتلمذ على الحسن البصري، ولم يفارقه إلى أن أظهر مقالته في المنزلة بين المنزلتين، وهو مؤسس فرقة الاعتزال (ت سنة ١٣١ هـ)^(٥٢). وقد اعتزل عن مجلس الحسن البصري^(٥٣).

وعرفها بعضهم بأنها فرقة خرجت عن طريق السنة، وابتدعت في عقائد الناس أموراً غريبة لا أصل لها في الدين ولا هي منه، وبداية ظهورهم كانت زمان الإمام أبي الحسن البصري إذ كان يدرس عنده أبو عمرو بن العلاء، وعمرو بن عبيد، فجاء بمقالة غريبة فاعتزلاً مجلس الحسن وجلسا وحدهم وسماهم الناس معتزلة منذ ذلك الوقت^(٥٤).

٢. المعتزلة من حيث الأفكار والمعتقدات:

أما عن بيان حقيقتهم ومقالاتهم فمما ذكر فيهم أن المعتزلة «يسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا، وقالوا: لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازا من وصمة اللقب إذ كان الذم به متقفا عليه؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «القدرية مجوس هذه الأمة»^(٥٥)، وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق على أن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد فكيف يطلق لفظ الضد على الضد، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «القدرية خصماء الله في القدر»^(٥٦).

والخصومة في القدر وانقسام الخير والشر على فعل الله، وفعل العبد، لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم، والتوكل، وإحالة الأحوال كلها على القدر المحتوم، والحكم المحكوم، والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد، القول: بأن الله تعالى قديم، والقدم اخص وصف لذاته، ونفوا الصفات القديمة أصلا، فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته لا يعلم وقدرة وحياته هي صفات قديمة، ومعان قائمة به؛ لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو اخص الوصف لمشاركته في الإلهية، واتفقوا على أنّ كلامه محدث مخلوق في محل، وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه فإن ما وجد في المحل عرض قد فني في الحال.

واتفقوا على أنّ الإرادة، والسمع، والبصر، ليست معاني قائمة بذاته لكن اختلفوا في وجوه وجودها، ومعامل معانيها، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار، ونفي التشبيه عنه من كل وجه جهة، ومكانا، وصورة، وجسما، وتحيزا، وانتقالا، وزوالا، وتغيرا، وتأثرا، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها، وسموا هذا النمط توحيدا.

واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها، وشرها مستحق على ما يفعله ثوابا، وعقابا في الدار الآخرة، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر، وظلم، وفعل هو كفر، ومعصية؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالما كما لو خلق العدل كان عدلا، واتفقوا على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح، والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد، وأما الأصلح واللطف ففي وجوبه عندهم خلاف وسموا هذا النمط عدلا.

واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة، وتوبة، استحق الثواب، والعتق، والتفضل معنى آخر وراء الثواب، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها، استحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه اخف من عقاب الكفار، وسموا هذا النمط وعدا، ووعيدا، واتفقوا على أن أصول المعرفة، وشكر النعمة، واجبة قبل ورود السمع، والحسن القبيح يجب معرفتهما بالعقل،

واعتناق الحسن واجتباب القبيح واجب كذلك، وورود التكاليف أطاف البارئ تعالى، أرسلها إلى العباد بتوسط الأنبياء عليهم السلام، امتحاناً، واختباراً، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، واختلفوا في الإمامة، والقول فيها نصاً واختياراً^(٥٧).

فهذه هي المعتزلة من حيث الأفكار، والمعتقدات، وقد افترقت هذه الفرقة إلى أكثر من عشرين فرقة^(٥٨)؛ لأن الأمر الذي يكون من عند غير الله، فالاختلاف الكبير الكثير الشديد، هو الأمر المحتم فيه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: الآية: ٨٢].

٣. أبرز علماء المعتزلة هم من الضالعين باللغة :

لعل أهم ما يميز به أهل الاعتزال مما هو معلوم عندهم أن كثيراً من رؤسائهم كانوا ضليعين باللغة العربية، متمكنين فيها عالمين بأسرارها، ودواخلها، ومخارجها، كجار الله الزمخشري مثلاً^(٥٩)، وهذا الأمر دفعهم بقوة إلى الانتصار لمذهبهم العقدي عن طريق تطويع النصوص لغويًا إلى المرادات التي ثبتوها ابتداءً، واصلوها سلفاً، وبالأخص ما يتعلق بعلم النحو. وسأتناول في هذا الموضوع ثلاثة من أبرز النحاة المعتزلة هم: أبو علي الفارسي، وابن جنبي، وجار الله الزمخشري، واترك الباقي فأنا لست بصدد ذكرهم، لاسيما أن غير واحد من الباحثين أخذ على عاتقه بحث ذلك^(٦٠).

أ. أبو علي الفارسي:

هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان الفارسي. أبو علي الفارسيّ النحوي الإمام المشهور، ولد ببلدة (فسا) سنة ٢٨٨هـ في أواخر أيام المعتضد، لأبٍ فارسيّ، وأمّ عربيّة سدوسية، من سدوس شبيران الذين هاجروا إلى فارس، توفي الفارسيّ سنة ٣٧٧هـ عن نيّف وتسعين سنة^(٦١).

وبين المولد والوفاة حياة حافلة بالتحصيل والانتقال والدّرس والتصنيف. والظاهر أنّ أبا عليّ لم يتزوَّج ولم ينجب، وظهر ذلك في وصف ابن جنبيّ له بـ خلوّ سربه وسروح فكره وخلوّه بنفسه وإتما وقف حياته على العلم لا يعتأفه عنه ولد، ولا يعارضه فيه متجر^(٦٢).

نشأ أبو علي وتلقّى ثقافته الأولى في مسقط رأسه (فسا) فقد حصل فيها على المبادئ الأولى للدارس من حفظ القرآن والحديث والفقه وبعض شعر العرب. فلما انتقل الفارسيّ إلى بغداد، وأقام في بلاط المعتضد التقى أعلام العلماء الذين ملأت شهرتهم الآفاق، فنال ما كان يرجوه فعلاً شأنه، وتصدّر مجالس العلم والتدريس^(٦٣).

وقد عاصر الفارسيّ الرماني، والسيرافيّ، وابن السراج، والزجاجيّ، وغيرهم، وكان واحداً منهم، وربما تفوّق عليهم علماً وشهرة. غير أنّ الفارسيّ لم يكتفِ بما سمع من هؤلاء فحسب، وإنّما اطّلع على مؤلّفات سابقيه التي استفاد منها كثيراً كسيبويه، والأخفش الأوسط، والكسائيّ، والفرّاء، والمازني، والمبرد... وغيرهم ممن اشتهروا في النحو وعلا ذكرهم. وأبو عليّ باتصاله بهؤلاء الأئمّة وأخذ عنهم، واطّلاعه على كتبهم، استطاع عن جدارة أن يكون من أئمّة العربيّة، وأغزرهم مادّة وأوسعهم اطّلاعاً. حيث أتت تلامذته و مترجمو حياته عليه ثناءً جمّاً متنوّع العبارة، يكاد لم يحظّ به أحد من نحاة القرن الرابع الهجري، فكانوا يقرنونه بسيبويه، ويفضّلونه على المبرد فهو أستاذ عصره، ومتقدّم أهل الصنعة في زمانه، وأنحى من جاء بعد سيبويه^(٦٤).

ومن أمثلة تبنيه مذهب الاعتزال قوله بأن الإنسان خالق لأفعاله، وذلك عند إعراب قول (رهبانية) في قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [سورة الحديد: الآية: ٢٧]، فقال: «رهبانية: محمول على فعل، كأنه قال: وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، إلا ترى أن الرهبانية لا يستقيم حملها على: جعلنا، مع وصفها بقوله عز وجل: (ابتدعوها)؛ لأن ما يجعله هو تعالى لا يبتدعونه هم»^(٦٥).

قال السمين الحلبي معلقاً على إعراب الفارسي: «قوله: (ورهبانية ابتدعوها) في انتصابها وجهان... والوجه الثاني: أنه منصوبة بفعل مقدر يفسره الظاهر وتكون المسألة من الاشتغال. وإليه نحا الفارسي والزمخشري وأبو البقاء وجماعة إلا أن هذا يقولون إنه إعراب المعتزلة؛ وذلك أنهم يقولون: ما كان من فعل الإنسان فهو مخلوق له، فالرحمة والرأفة لما كانت من فعل الله تعالى نسب خلقهما إليه. والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها إليه، وللرد عليهم موضع آخر هو أليق به من هذا الموضع، وسأبينه إن شاء الله في الأحكام»^(٦٦). ولضيق المقام أكتفي بذكر هذا المثال.

ب. ابن جني:

هو عثمان بن جني الموصلّي، كان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلّي^(٦٧). كانت ولادته قبل ٣٣٠هـ، وعلى هذا أكثر المترجمين^(٦٨). من أبرز شيوخه ومن أخذ عنهم أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي^(٦٩).

كانت ثقافته واسعة، وقد تشكّلت من مصادر كثيرة من أخذه من الكتب، وقراءته على شيوخه، ومشافهته لبعض الإعراب، وحضوره لمجالس العلم والأدب، ناهيك عما يدور فيها من

محاورات ومناظرات وتبادل للآراء^(٧٠).. فأبدع لنا ما أبدع في علم العربية، نحوًا وصرافًا ولغة ودلالة وأصواتًا وغيرها^(٧١).

أما مذهبه العقدي والذي نحن بصدد الكلام عنه في هذا المقام، فلا نجد خلافًا عند من تعرض لمذهبه في كونه معتزليًا^(٧٢)، فهناك من الأدلة ما يثبت ذلك، فهي مبنوثة في كتبه، وسأضرب مثالًا واحدًا أوضح فيه مذهبه الاعتزالي، في نفي الصفات، معتمداً في ذلك على ما ذكره هو في خصائصه، فقال: «فأما قوله سبحانه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: الآية: ٧٦] حقيقة لا مجاز. وذلك أنه سبحانه ليس عالمًا بعلم؛ فهو إذاً العليم الذي فوق ذوي العلوم أجمعين. ولذلك لم يقل: وفوق كل عالم عليم؛ لأنه عزَّ اسمه عالم ولا عالم فوقه»^(٧٣). فابن جني بنى كلامه على أصل المعتزلة على أن الله عالم بذاته، وليس له صفة العلم. وفاته أن اللسان العربي لا يعرف العالم إلاً لذي العلم، كما لا يعرف القائم إلاً لذي القيام، وكان خيرًا له أن ينأى عن هذه المسائل الكلامية.

وفي مسألة نحوية أخرى حكم بحكم عبر عنه بأنه منزلة بين منزلتين^(٧٤)، ومن أرائه الاعتزالية القول بخلق أفعال العباد أنفسهم^(٧٥).

ج. جار الله الزمخشري:

اسمه أبو القاسم محمود بن محمد بن عمر الزمخشري اللغوي جار الله، ولد سنة ٤٦٧هـ بزمخشري، وهي إحدى قرى خوارزم^(٧٦). وتوفي بجرجانية خوارزم ليلة عرفة من سنة ٥٣٨هـ^(٧٧). كان متفقا، وقد شهد له بذلك الكثير من العلماء ممن عاصروه وغيرهم ممن جاءوا بعده، بعلمه الفاضل وأدبه فكان عالما بمختلف الفنون، قال ابن خلكان: «كان إمام عصره من غير مدافع، تشد له الرجال في فنونه»^(٧٨)، وقال ياقوت: «كان إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب واسع العلم كبير الفضل متقنا في علوم شتى»^(٧٩). فهو عالم بارع في مختلف العلوم، وله سمات ومميزات خاصة به نجدها في كتبه المختلفة فهي تدل على علمه الغزير ووعيه الكبير وإدراكه العميق، وعقليته الجبارة، التي استطاع من خلالها الخوض في جميع العلوم، وهذا ما جعله يتميز بقدرته على تقليب الكلام على ما يحتمله من وجوه تركيبية، وكذا قدرته على تقليب الوجوه الإعرابية^(٨٠).

والزمخشري معتزلي المذهب، مجاهر بذلك، داع إليه، كما يصرح به حتى نقل عنه «أنه إذا قصد صاحبا له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن: - قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب»^(٨١)، وقال ابن كثير: «وكان يظهر مذهب الاعتزال، ويصرح به بذلك في تفسيره

وينظر عليه»^(٨٢). فهذه العقيدة الاعتزالية التي تمسك بها الزمخشري كان لها أثر كبير وواضح في قدرته الفائقة في صياغة التراكيب وسبك الأساليب البلاغية لتحقيق ما يرمى إليه - كما سيأتي - فاتسعت اللغة على يده ، حتى نال مراده، فكان بحق حامل لواء المعتزلة في القرن السادس الهجري بل منازع.

٤. الأثر العقدي للمعتزلة في علم النحو (مسائل مختارة) :

بما أن مجال البحث في هذه الجزئية واسع وكبير؛ لذا سأنتقي بعض النماذج للتدليل عليه، وبيان مدى أثر اللغة العربية، وعلم النحو على وجه التحديد في العقائد التي ظهرت على خريطة الأمة الإسلامية.

أ. رؤية الله عند المعتزلة:

اتفق المعتزلة بجميع فرقهم على أن الله تعالى لا يرى يوم القيامة مخالفين بذلك أهل السنة والجماعة وغيرهم، رادين الأدلة القطعية الواردة بهذا الشأن من الآيات القاطعة، والأحاديث المتواترة، منطلقين من أصلهم القاضي بنفي التشبيه عن الذات الإلهية بجميع وجوهه، وبما أن رؤية الله يلزم منها التشبيه للذات الإلهية بالأجسام؛ لكون الرؤية يترتب عليها المكان، والحيز، والجهة، والإحاطة، وهذه من صفات الأجسام^(٨٣)، لذا يجب نفيها إذ هذا هو المنطلق الأصلي في نفي صفة الرؤية عن الله تعالى عند المعتزلة دليل عقلي بحت، ولكن ما يفتقرون إليه لتقرير هذا المعتقد وتثبيته هو الدليل النقلي، وهنا ظهر الأثر الفعلي لعلم النحو في هذه القضية وعلى الوجه الآتي:

- (لن) في قوله تعالى: ﴿كُنْ تَرِينِي﴾ [سورة الأعراف: الآية: ١٤٣]:

جعل المعتزلة من قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿كُنْ تَرِينِي﴾ الدليل القاطع على ما ذهبوا إليه، وهو الأصل الذي ينبغي الرجوع إليه في القول برؤية الله - جل وعلا- يوم القيامة، وأن غيره من الأدلة يرجع في بيان مدلوله، أو في قبوله، أو رفضه إلى هذا الدليل، ووجه استدلالهم كان نحوياً، فالمعتزلة قالوا: إن (لن) حرف نفي ناصب للفعل المضارع، وأن النفي فيه نفي مطلق غير محدد، أي: أنه نفي للتأيد، وهذا يعني أن نفي الرؤية عن الله مؤيد مطلق، لم يكن فيما مضى أبداً، ولن يكون في المستقبل أبداً، ولبيان وجه استدلالهم على وجه التحديد أنقل لكم كلام الزمخشري في كشافه الذي يوضح فيه وجه الاستدلال وكيفية، فقال:

«إن قلت: فكيف قال: ﴿كُنْ تَرِينِي﴾، ولم يقل: (لن تنظر إليّ)، لقوله: (نظُرْ إِلَيْكَ)؟ قلت:

لما قال: (أرني)، بمعنى: اجعلني متمكناً من الرؤية التي هي الإدراك، علم أن الطلّبة هي الرؤية

لا النظر الذي لا إدراك معه، فقيل: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾، ولم يقل: (لن تنظر إلي). فإن قلت: كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز، ويتعالىه عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس، وذلك إنما يصح فيما كان في جهة. وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون في جهة. ومنع المجبرة إحالته في العقول غير لازم؛ لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم، وكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ اللَّهُ مَا مَنَّا﴾ إلى قوله: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ [سورة الأعراف: الآية: ١٥٥]، فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالاً؟ قلت: ما كان طلب الرؤية إلا لبيكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالاً، وتبرأ من فعلهم، وليقمهم الحجر، وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكروا عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق، فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا: لا بد، ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك، وهو قوله: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة، فلذلك قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [سورة الأعراف: الآية: ١٤٣]. فإن قلت: فهلا قال: أرهم ينظروا إليك؟ قلت: لأن الله سبحانه إنما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون، فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه، كما أسمعاه كلامه فسمعوه معه، إرادة مبنية على قياس فاسد، فلذلك قال موسى: أرني أنظر إليك، ولأنه إذا زجر عما طلب، وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله تعالى، وقيل له: لن يكون ذلك: كان غيره أولى بالإنكار؛ لأن الرسول إمام أمته، فكان ما يخاطب به، أو ما يخاطب راجعاً إليهم. وقوله: ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم، دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم، وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظوراً إليه، مقابلاً بحاسة النظر، وكيف بمن هو أعرق في معرفة الله تعالى من واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، والنظام، وأبي الهذيل والشيخين، وجميع المتكلمين؟ فإن قلت: ما معنى: (لن)؟ قلت: تأكيداً للنفي الذي تعطيه (لا) وذلك أن (لا) تنفي المستقبل. نقول: لا أفعل غداً، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غداً. والمعنى: أن فعله ينافي حالي، كقوله: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [سورة الحج: الآية: ٧٣]، فقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [سورة الأنعام: الآية: ١٠٣]، نفي للرؤية فيما يستقبل. و(لن تراني) تأكيد وبيان؛ لأن المنفي مناف لصفاته^(٨٤).

وقال في المفصل: «و(لن) تأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل»^(٨٥).

فهذا هو وجه استدلالهم بـ(لن) فالنفي فيها مؤكد لعدم حصول الفعل في المستقبل وهو بحسب زعمهم ابدي لا يقيد بقيد ولا يرفعه رافع.

وفي(لن) وعملها وما تفيد من معنى يقول علماء النحو: «و(لن اضرب) نفي لقوله (سأضرب)، كما أن(لا تضرب) نفي لقوله (أضرب) و(لم أضرب) نفي ل(ضربت)»^(٨٦).
«وناصبه - أي الفعل المضارع - أربعة: أحدها: (لَنْ) وهي لنفي (سَيَفْعَلُ) ولا تقتضي تأييد النفي، ولا تأكيدَه خلافاً للزمخشري»^(٨٧).

وقالوا فيها أيضاً: «و(لن) حرف يفيد النفي والاستقبال بالاتفاق، ولا يقتضي تأييداً خلافاً للزمخشري في أتمودجه، ولا تأكيدا خلافاً له في كشافه، بل قولك: (لن أقوم) محتمل لأن تريد بذلك أنك لا تقوم أبداً، وأنك لا تقوم في بعض أزمنة المستقبل وهو موافق لقولك: لا أقوم في عدم إفادة التأكيد»^(٨٨).

وزاد في مغني اللبيب أن كلا قولي الزمخشري في (لن) دعوى بلا دليل وقال: «ولو كانت للتأييد لم يقيد منفيها باليوم في ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْ شِئْنَا﴾ [سورة مريم: الآية: ٢٦] وكان ذكر الأبد في ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [سورة البقرة: الآية: ٩٥]، تكراراً والأصل عدمه»^(٨٩).

وما ذهب إليه الزمخشري من إفادة (لن) المعنى المتقدم رده جماعة من النحويين فضلاً عن الذي نقلناه، ومنهم ابن مالك^(٩٠)، والرضي الأستربادي^(٩١)، والأزهري^(٩٢).

إن علماء النحو متفقون على أن (لن) لا تفيد التأييد ولا التأكيد، وهم في اتفاقهم هذا يردون على الزمخشري ما ذهب إليه من إفادتها التأييد والتأكيد هذا القول الذي ما دفعه إلى القول به إلا نصره مذهبه العقدي الناحي إلى نفي الرؤية عن الله - جل وعلا- يوم القيامة، وبهذا يتبين لنا أثر التوجه العقدي من جهتي إثباته وإبطاله على علم النحو مع التنبيه لمعتقدات العلماء لأنها قد تؤثر في اختياراتهم النحوية ومذاهبهم اللغوية.

ب . مسألة خلق أفعال العباد عند المعتزلة:

يعتقد المعتزلة أن العبد خالق لأفعاله، قادر عليها، منسوب إليه ما ترتب على عمله من قبح وحسن، وهم إذ استدلوا لمعتقدهم هذا بأدلة عقلية متعددة، نسجوها من محض خيالهم؛ فإنهم قد جوبهوا بالأدلة النقلية المبطللة لتوجههم، والقاطعة ببطلانه، والمؤيدة والرائدة لمعتقد أهل السنة القاضي بأن الله تعالى خالق للعباد، وأفعالهم...^(٩٣).

- (ما) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات: الآية: ٩٦]، أمصدرية؟ أم موصولة؟:

ولعل أقوى ما جابه المعتزلة من الأدلة النقلية في هذا المقام، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، حيث أفادت هذه الآية أن العباد وأفعالهم خلق الله تعالى على اعتبار أن (ما) مصدرية، أما المعتزلة فانتصاراً لمذهبهم حملوا (ما) على الموصولية، فصار تأويل الآية عندهم: والذي تعملونه، أي: من الأصنام، وعلى هذا لن يرجع الخلق إلى نفس فعل العباد. قال الزمخشري: «إن قلت: فما أنكرت أن تكون ما مصدرية لا موصولة، ويكون المعنى: والله خلقكم وعملكم، كما تقول المجبرة؟ قلت؛ قرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب: أن معنى الآية يباه إباء جلياً، وينبو عنه نبواً ظاهراً، وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بأن العابد والمعبود جميعاً خلق الله، فكيف يعبد المخلوق المخلوق، على أن العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله، ولولاه لما قدر أن يصور نفسه ويشكلها، ولو قلت: والله خلقكم وخلق عملكم، ولم يكن محتجاً عليهم ولا كان لكلامك طباق. وشيء آخر: وهو أن قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ترجمة عن قوله: ﴿مَا تَنْتَحُونَ﴾، و(ما) في ﴿مَا تَنْتَحُونَ﴾ موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها إلا متعسف متعصب لمذهبه، من غير نظر في علم البيان، ولا تبصر لنظم القرآن. فإن قلت: اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت، وأريد: وما تعملونه من أعمالكم. قلت: بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق، وذلك أنك وإن جعلتها موصولة، فإنك في إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين، كحالك وقد جعلتها مصدرية، وأيضاً فأنت قاطع بذلك الوصلة بين ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ و﴿مَا تَنْتَحُونَ﴾، حتى تخالف بين المرادين بهما؛ فتزيد بما تنتحون: الأعيان التي هي الأصنام، ربما تعملون: المعاني التي هي الأعمال؛ وفي ذلك فك النظم وتبتيه؛ كما إذا جعلتها مصدرية»^(٩٤).

فهذا هو وجه استدلالهم، وقد رد عليه أهل السنة بما يخرسه فقالوا: «ومن الأدلة المذكورة في الرسالة لنا قوله الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ وأخبر سبحانه أنه خلقهم ونفس أعمالهم كما أخبر أنه يجازيهم على نفس أعمالهم بقوله تعالى: ﴿جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة: الآية: ١٧]، فانصرف ذلك إلى حركاتهم في العمل وصار التقدير خلقكم وعملكم فأجاب القدري المخالف وقال لا حجة لهذا المستدل بهذه الآية لأن المراد بالآية والله خلقكم والحجارة التي تعملونها أصناماً بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْتَحُونَ﴾ [سورة الصافات: الآية: ٩٥] وأراد الأصنام لأنهم عبدوها ولم يعبدوا أعمالهم هذا نكتة قوله ولنا عن ذلك أجوبه أحدها أن يقال هذا صرف للكلام عن ظاهره وتبديل لا تأويل والتصريف يشهد لصحة ما قلنا وذلك أنه يقال عمل يعمل عملاً فهو عامل والعين معمول فيها فالعمل هو المصدر وهو اسم العمل وهو حركته بالعمل أو آثار عمله فاسم العمل يقع

على ذلك حقيقة فمن حمل العمل عليه صرفه إلى الحقيقة والعين المعمول فيها وهي الأخشاب والأحجار المنحوتة لا تسمى عملا وإنما تسمى معمولا بها وتسمى معمولا بها مجازا لا حقيقة لأنه لا يعملها حقيقة.

جواب ثان: أنه يصح نفي العمل عن العين المعمول بها ولا يصح نفي العمل عن حركات العامل ولا عن آثار عمله بأن تقول ما رأيت بناء زيد ولا نحتة وإنما رأيت الأحجار والأخشاب التي بني بها ونحتها بعد زوال بنائه ونحته ويصح أن تقول رأيت عمل زيد ونحته إذا رآه يتحرك بالبناء والنحت وإن لم ير العين التي بني بها ولا أثر نحته ولا يصح أن تقول: ما رأيت عمله إذا رأى حركته في العمل أو آثار عمله وإن رأي العين بعد زوال عمله بها.

جواب ثالث: إن المشركين إنما كانوا يعبدون من الأخشاب والأحجار أوثانا وأصناما فالأوثان ما نحتوه على مثال ما ليس له صورة والأصنام على مثال ما له صورة فقوم إبراهيم عليه السلام إنما عبدوا تلك الأوثان والأصنام لأجل نحتهم وتصويرهم الذي نحتوه وصوروه تعظيما للنحت والتصوير لا للأعيان بدليل أنهم كانوا لا يعبدونها قبل ذلك ولما كسرها إبراهيم عليه السلام وأزال تصويرها ونحتها بطلت عندهم أن تكون آلهة فرد الله عليهم ذلك وأخبرهم أن هذا النحت والتصوير الذي عبدها لأجله لا يقتضي كونها معبودة لأنه الخالق له فقال والله خلقكم وما تعملون أي خلقكم وخلق عملكم ويدل على هذا التأويل أن الصنعة في الأعيان تدل على حكمة الصانع لها ولهذا قال إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الأبصار فالمسلمون إنما استدلوا على الله وعلى حكمته وعلمه بآثار صنعته في الأعيان وكذلك المشركون إنما عبدوا الأصنام لأجل الصنعة.

فيها جواب رابع وهو أن قول القائل نحت كقوله ضرب وذلك يشتمل على ستة أشياء على الفاعل وعلى المصدر وهو الضرب والنحت وهو المفعول حقيقة وعلى المفعول به وهو المنحوت والمضروب وليس بمفعول للفاعل حقيقة وإنما فعل الفاعل فعلا أوقعه فيه فيسمى مفعولا له مجازا والفاعل لها هو الله وعلى ظرف الزمان وظرف المكان وهما مفعول فيهما حقيقة وعلى الحال وهو مفعول فيه أيضا حقيقة فإذا كان الله هو الخالق للخمسة الأشياء وجب أن يكون خالقا للسادس وهو المصدر^(٩٥).

ج. أسماء الله مخلوقة عند المعتزلة:

أجمعت المعتزلة على أن صفات الله سبحانه وأسماءه هي أقوال وكلام فقول الله إنه عالم قادر هي أسماء لله وصفات له وكذلك أقوال الخلق، ولم يثبتوا له صفة علماً ولا صفة قدرة، وكذلك قولهم في سائر صفات النفس^(٩٦).

وإذا كانت صفات الله وأسماءه مجرد أقوال هي وصف الواصفين وتسمية المسلمين، فعلى هذا تكون أسماءه مخلوقة للعباد؛ لأنها من أفعالهم وهي مخلوقة لهم على حد قولهم. وقول المعتزلة هذا إنما هو نابع من رأيهم بأن الاسم غير المسمى وأسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق^(٩٧).

وقد ذم السلف ما قال به هؤلاء وغلطوا فيهم القول؛ لأن أسماء الله من كلامه وكلام الله غير مخلوق بل هو المتكلم به وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء^(٩٨).

ولأجل التدليل على معتقدهم هذا يحتاجون إلى توجيه الكثير من الآيات الواردة في القرآن على أن الاسم غير المسمى، ومن بين هذه الآيات ما جاء في سورة البقرة.

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة: الآية: ٣١].

والمعتزلة لأجل إثبات ما يذهبون إليه قاموا بتوجيه هذه الآية لغوياً بما يتناسب مع مذهبهم ويدخل في التوجيه اللغوي النحو قطعاً إعراباً ومعنى، فقال محمود الزمخشري: «﴿ الْأَسْمَاءُ كُلَّهَا ﴾ أي أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأسماء؛ لأن الاسم لا يبدل من مسمى، و عوض منه اللام كقوله: ﴿ وَأَشْتَمَلُ الرُّؤْسِ ﴾. فان قلت: هلا زعمت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وأن الأصل: وعلم آدم مسميات الأسماء؟ قلت: لأن التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات لقوله: ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ﴾، ﴿ أَنْبِئْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ فكما علق الإنباء بالأسماء لا بالمسميات ولم يقل: أنبؤني بهؤلاء، وأنبئهم بهم، وجب تعليق التعليم بها»^(٩٩).

وما أدعاه المعتزلة من حذف المضاف إليه وتعويضه بدلاً منه الألف اللام رده قوم من المعريين؛ بأن الألف واللام لا يقومان مقام الإضافة عند البصريين^(١٠٠).

وما أدعاه المعتزلة من حذف مردود - أيضاً - من جهة المعنى؛ فالمعنى: وعلم آدم الأسماء، ولم يبين لنا أسماء مخصوصة، بل دل كلها على الشمول، والحكمة حاصلة بتعلم

الأسماء، وإن لم يعلم مسمياتها، أو يكون أطلق الأسماء وأراد المسميات، فعلى هذين الوجهين لا حذف^(١٠١).

ويبدو أن جار الله بتأويله هذا حاول أن يفر من اعتقاد أن الاسم هو المسمى؛ لأن ذلك معتقد أهل السنة، فعمل الحيلة في إبعاده عن مقتضى الآية بقوله: ﴿أَنْبِئَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ وتغافل عن قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، ونسي أن الضمير فيه عائد إلى المسميات اتفاقاً، ولم يجر إلا ذكر الأسماء، فدل على أنها المسميات.

كما عرض أيضاً عن حكمة التعليم، وأن تعليقه بنفس الألفاظ لا كبير غرض فيه بل الغرض المهم تعليمه لذوات المسميات وإطلاعه على حقائقها وما أودع الله تعالى فيها من خواص وأسرار وعلى تسميتها أيضاً فإن طريق التعليم يميز كل حقيقة باسمها فقد ثبت بهاتين النكتتين أن المراد بالأسماء المسميات. وأما استدلاله بقوله: (أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ) فغايبته إضافة الأسماء إلى الذوات، فلم أن يقولوا لو كانت الأسماء هي الذوات لزمّت إضافة الشيء إلى نفسه، وهذا ما لا مطمع فيه فإن هذه الإضافة مثلها في قولك: نفس زيد وحقيقته، فالمراد إذاً نبئوني بحقائق هؤلاء، ولا نكير في هذه الإضافة فإن الأسماء بمعنى المسميات. والحقائق أعم من هؤلاء المشار إليهم والمضاف إليهم فصحت الإضافة لما بين الأعم والأخص من التغاير، وهذا هو المصحح للإضافة في مثل نفس زيد وأشباهه.

والملاحظ من هذا المثال المتقدم أن العقيدة أثرت في علم النحو وعلى اختيار الدلالات بالذات فالمعنى النحوي عندهم ليس هو الذي يقود المعنقد ويدل عليه ولكن المعنقد هو الذي وجّه إلى الاختيار النحوي وقاد إليه.

د. العدل والتوحيد:

لقب المعتزلة أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد، لقولهم بوجوب الأصلح، وبنفي الصفات القديمة، فإنهم قالوا: يجب على الله تعالى ما هو الأصلح لعباده، ويجب عليه أيضاً إثابة المطيع، فهو لا يدخل بما وجب عليه أصلاً، وجعلوا هذا عدلاً، وقالوا أيضاً: بنفي الصفات القديمة القائمة بذاته تعالى، احترازاً عن أثبات القدماء المتعددة، وجعلوا هذا توحيداً^(١٠٢).

وباختصار فإن التوحيد، عندهم هو نفي صفات الباري جل وعلا، وإثبات أسماء لا معاني لها كقولهم عالم بلا علم قادر بلا قدرة. وحقيقة العدل عندهم هو نفي قدر الله عز وجل ومشيئته النافذة على خلقه، وأن العباد خالقون لأفعالهم.

ووفق ما تقدم فالمعتزلة حصروا الإسلام كله في التوحيد والعدل^(١٠٣)، وبهذا يظهر التباين الواضح بينهم وبين أهل السنة والجماعة.

فأهل السنة خالفوا المعتزلة في تأصيلهم، إذ يرون أن التوحيد والعدل هما: «جماع صفات الكمال، فإن التوحيد يتضمن تفرده سبحانه بالكمال والجلال والمجد والتعظيم الذي لا ينبغي لأحد سواه، والعدل يتضمن وقوع أفعاله كلها على السداد والصواب وموافقة الحكمة»^(١٠٤).

والمعتزلة دفاعا عن مذهبهم في تأصيل هذا الأصل من عقيدتهم، نافحوا عنه بكل ما يمتلكون من معرفة وثقافة لغوية ونحوية، وفنون كلامية، فطوعوا وتأولوا الآيات القرآنية الكريمة التي يتعارض ظاهرها مع مذهبهم الاعتزالي.

وخير مثال نوضح به ما قدمناه قوله تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْأَلْمِيقَاتِ لَا يُقْسِمُ بِاللَّهِ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْكَنُوا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿ [سورة آل عمران: الآية: ١٨-١٩].

والمنطلقات العقدية للمعتزلة، إنما بانّت من خلال توجيهاتهم للقراءات الواردة في همزة (إن) في قوله ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾.

ففي قوله تعالى: ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ قراءتان: الأولى: قراءة العامة على فتح الهمزة^(١٠٥)، وإنما فتحت؛ لأنها على حذف حرف الجر، أي: شهد الله بأنه لا إله إلا هو، فلما حذف الحرف جاز أن يكون محلها نصبا وأن يكون محلها جرا. والثانية: قراءة ابن عباس: (إنه) بكسر الهمزة^(١٠٦).

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ قراءتان أيضا، الأولى قراءة الكسائي^(١٠٧) بفتح الهمزة (إن) والباقون بكسرها^(١٠٨).

وقد جمع السمين الحلبي توجيهات المعربين لهذه القراءات وتبعه ابن عادل في ذلك، ولضيق المقام اكتفي بنقل توجيهات المعتزلة وكيفية توظيف هذه القراءات وتوجيهها في تقرير معتقدهم بحصر الدين الذي هو الإسلام في التوحيد والعدل بمفهومهم الاعتزالي.

فمن الأوجه التي ذكرها السمين في توجيه قراءة الكسائي، أن قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ على قراءة الجمهور في ﴿أَنْتَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، بدل من ﴿أَنْتَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ويكون البديل في ذلك على وجهين:

«أحدهما: أنه من بدل الشيء من الشيء، وذلك أن الدين الذي هو الإسلام يتضمن العدل والتوحيد وهو هو في المعنى. والثاني: أنه بدل اشتمال لأن الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل»^(١٠٩).

والثاني من الأوجه نسبة السمين للمعتزلة، أن يكون قوله (أن الدين) «بدلاً من قوله (قائماً بالقسط) ثم لك اعتباران، أحدهما: أن تجعله بدلاً من لفظه فيكون محل (أن الدين) الجر. والثاني: أن تجعله بدلاً من موضعه فيكون محلها نصباً... وإنما صح البديل في المعنى؛ لأن الدين الذي هو الإسلام قسط وعدل، فيكون أيضاً من بدل الشيء من الشيء، وهما لعين واحدة. ويجوز أن يكون بدل اشتمال؛ لأن الدين مشتمل على القسط وهو العدل. وهذه التخاريج لأبي علي الفارسي، وتبعه الزمخشري في بعضها»^(١١٠).

وتأكيداً لما ذكره السمين أنقل كلام أبي علي الفارسي، ثم أردفه بما تبعه به الزمخشري، قال أبو علي في حجته: «ومن فتح (أَنْ) جعله بدلاً، والبديل، وإن كان في تقدير جملتين، فإنَّ العامل لما لم يظهر، أشبه الصفة. فإذا جعلته بدلاً جاز أن تبدله من شيئين: أحدهما: من قوله: ﴿أَنْتَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فكأنَّ التقدير: شهد الله أنَّ الدين عنده الإسلام، فيكون البديل من الضرب الذي الشيء فيه هو هو. ألا ترى أنَّ الدِّينَ الذي هو الإسلام يتضمن التوحيد والعدل وهو هو في المعنى؟. وإن شئت جعلته من بدل الاشتمال لأنَّ الإسلام يشتمل على التوحيد والعدل، وإن شئت جعلته من القسط لأنَّ الدين الذي هو الإسلام قسط وعدل، فيكون من البديل الذي الشيء فيه هو هو»^(١١١).

وقال الزمخشري: «وقرئنا مفتوحين، على أن الثاني بدل من الأول، كأنه قيل: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام، والبديل هو المبدل منه في المعنى، فكان بيانا صريحاً، لأن دين الله هو التوحيد والعدل»^(١١٢).

وإكمالاً لتأويل قراءة الجمهور ﴿أَنْتَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ على وفق مذهبه الاعتزالي: قال موجهاً: «وقوله إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلامُ جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى. فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد؟ قلت: فائدته أن قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ توحيد، وقوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ تعديل، فإذا أردفه قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد، وهو الدين عند

اللّه، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين. وفيه أن من ذهب إلى تشبيهه أو ما يؤدى إليه كإجازة الرؤية أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور، لم يكن على دين اللّه الذي هو الإسلام، وهذا بين جلي كما ترى»^(١١٣).

وقد نبه أبو حيان على ما في كلام أبي علي و الزمخشري من اعتزال، معترضا على تخريجهما بأنه بعيد أن يأتي بمثله في كلام العرب، فقال: «انتهت تخريجات أبي علي، وهو معتزلي، فذلك يشتمل كلامه على لفظ المعتزلة من التوحيد والعدل، وعلى البديل من أنه لا إله إلا هو، خرجه غيره أيضا وليس بجيد، لأنه يؤدي إلى تركيب بعيد أن يأتي مثله في كلام العرب، وهو: عرف زيد أنه لا شجاع إلا هو، و: بنو تميم، وبنو دارم ملاقيا للحروب لا شجاع إلا هو البطل المحامي، إن الخصلة الحميدة هي البسالة»^(١١٤).

وقد رد السمين ما اعترض به أبو حيان على الفارسي وأبي القاسم، بأنهما أكبر من أن يجهلا صحة تركيب بعض الكلام وفساده^(١١٥).

ومهما يكن من أمر فإذا كان ثمة اتفاق بين توجيه الزمخشري والجمهور، فالتباين واضح جلي يكمن في أن أبا القاسم يحصر الدين الذي هو الإسلام كله في التوحيد والعدل. ومن هنا يتضح بهذا المثال كيف أن الوجهة العقيدية للمعتزلة أثرت تأثيرا مباشرا في الاختيار النحوي لهم وهذا ما يؤكد لنا أن استعمال علوم الآلة وبالأخص علم النحو هو الوسيلة لتثبيت توجهات الفرق وتحقيق معتقداتهم، فالمعتزلة وجهوا الآية بحسب ما ذهبوا إليه.

الذاتمة ونتائج البحث

بعد هذه السياحة الماتعة الممتعة في أثر العقيدة في علم النحو أو أثر النحو على العقيد يمكن أن نلخص أهم نتائج البحث بما يأتي:

١. إن علم النحو علم متأخر الظهور، فوضعه كان بعد أن اختلطت لغة العرب بلغة الأعاجم عندما انتشر الإسلام مكانا، وكان المقصد الأساسي والأصلي منه هو الحفاظ على لغة القرآن والسنة من التحريف والتبديل والضياع، وهو بعد وضعه صنف من ضمن علوم الآلة المعينة للفهم والاستدلال.
٢. إن قواعد علم النحو ليست ثابتة مطردة فالمعلوم أن لغات العرب كانت متعددة وهذا ما يمنع الاطراد في تفيد الأصل المعمول به لخضوعه لزوما للاستثناء.

٣. إن الإعراب الخاص بالكلمة هو أحد الأركان الأساسية لعلم النحو، وهذا الإعراب لا يلزم حالة واحدة، فمن الممكن أن يكون للكلمة الواحدة في الجملة أكثر من وجه إعرابي وذلك بحسب توجيه الناظر إلى الجملة لمعناها ودلالاتها.
٤. إن الفرق المنتمية للإسلام أو صاحبة التوجهات العقيدية الأخرى، والبعيدة عن طريق أهل السنة كما يرى أهل السنة، ظهرت في أواخر عصر الصحابة وتفاقم أمرها وانتشرت أفكارها ودعاتها بعد انقراض عصر الصحابة وتزامن ظهورها وانتشارها مع ظهور علم النحو وانتشاره.
٥. إن هذه الفرق استعملت كل الوسائل المتاحة من علوم مختلفة واختلافات معروضة لتقوية شوكة قولها وكان من بين هذه العلوم المستخدمة علم النحو إذ طوعوه وأعملوا قواعده في النصوص، وجعلوها متماشية مع توجهاتهم ومتناسبة مع أفكارهم.
٦. إن من بين أهم الطوائف التي برزت عندها حالة تطويع النحو وقواعده لتقوية معتقداتهم المعتزلة.
٧. لقد برز الكثير من علماء المعتزلة في علوم اللغة العربية كعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء والزمخشري، وهذا ما سهل لهم عملية استخدام اللغة كوسيلة لتحقيق ما ذهبوا إليه في تثبيت معتقداتهم.
٨. من أمثلة أثر العقيدة في علم النحو عند المعتزلة ذكرنا أربعة مسائل وهي الرؤية لله يوم القيامة، وخلق أفعال العباد، وخلق أسماء الله، ومسألة العدل والتوحيد.
- إن البحث في هذه المسألة واسع وما هذا البحث إلا لبنة وحجر أساس للباحث نفسه، وكذا لغيره ممن يبحثون فيه كما أنه يكشف اللثام عن بعض الآثار التي ترتبت على ظهور علم النحو..... والله أعلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

- (١) الخصائص: ٣٤/١، وينظر: لسان العرب: مادة: (ن ح ا).
- (٢) معجم الأدباء: ٥١/١.
- (٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ٣٠/١.
- (٤) إحياء النحو: ١.
- (٥) الصحاح: مادة: (ن ح ا)، وينظر: لسان العرب: مادة: (ن ح ا).

- (٦) شرح المفصل: ١/١٤٠.
- (٧) الإيضاح في علل النحو: ٩١.
- (٨) القاموس المحيط: مادة: (ن ح ا).
- (٩) لسان العرب: مادة: (ن ح ا)، وينظر: الصحاح: مادة: (ن ح ا).
- (١٠) ينظر: القاموس المحيط: مادة: (ن ح ا).
- (١١) التعريفات: ١/٤٧.
- (١٢) ينظر: الأصول في النحو: ١/٤٥-٤٧، وشرح ابن عقيل: ١/٤٣.
- (١٣) يقول الدكتور كامل جميل: « فاللحن اصطلاحاً هو الخطأ في الإعراب؛ أي: تحريك الكلمة المعربة تحريكاً خاطئاً كأن تضع الضمة بدل الفتحة والفتحة بدل الكسرة وتخلط الحركات الإعرابية خلطاً شديداً فتؤثر بهذا الخلط على اللفظ والمعنى»، طريق النحو: ١٧.
- (١٤) ينظر: النحو العربي نقد وبناء: ١١.
- (١٥) طبقات النحويين واللغويين: ١١.
- (١٦) أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي: ٤٩.
- (١٧) ينظر: تاريخ العربية: ٧، وطريق النحو: ١٦.
- (١٨) أخبار النحويين: ١٥.
- (١٩) ينظر: المدارس النحوية، د. خديجة الحديثي: ٤٩، وسبب وضع علم العربية: ٣٠-٣١.
- (٢٠) سبب وضع علم العربية: ٣٤-٣٥.
- (٢١) الأغاني: ١٢/٣٤٧، وينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: ٣٧، وسبب وضع علم العربية: ٤٢-٤٣.
- (٢٢) ينظر: مراتب النحويين: ٢٩، وأخبار النحويين: ١٦، والفهرست: ٦٣.
- (٢٣) ينظر: الأصول: ٢٣.
- (٢٤) العامل الاجتماعي: يتمثل في كثرة الموالي الداخلين في الإسلام وخشية العلماء والأمراء على أسنة العرب من الانحراف لمخالطتهم الموالي، وكذلك حاجة هؤلاء الموالي إلى تعلم اللغة العربية، التي هي لغة القرآن والدولة الحاكمة. ينظر: المصطلح النحوي: ٣٠، ومدرسة الكوفة: ٥٢.
- (٢٥) ينظر: المدارس النحوية: د. شوقي ضيف: ١٢.
- (٢٦) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ٥٠.

- (٢٧) ينظر: أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي: ٥٢.
- (٢٨) إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٥١.
- (٢٩) تهذيب تاريخ مدينة دمشق: ١٩/٧.
- (٣٠) طبقات اللغويين والنحويين: ١٤.
- (٣١) أقتضاء الصراط المستقيم: ١/ ٥٢٧.
- (٣٢) المصدر نفسه: ١/ ٥٢٨.
- (٣٣) يقول ابن قتيبة: «الشعر معدن علم العرب، وسفر حكمتها، ومستودع أيامها، والسور المضروب على مآثرها»، عيون الأخبار: ١٨٥/٢.
- (٣٤) الموافقات: ٥٦/٢.
- (٣٥) ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: ٤.
- (٣٦) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ٣٤/١ - ٣٥.
- (٣٧) الصحاح: مادة: (ن ح ا)، وينظر: لسان العرب: مادة: (ن ح ا).
- (٣٨) المنهاج في شرح صحيح مسلم: ٣٤١/١ - ٣٤٢.
- (٣٩) رواه الخطيب البغدادي في الجامع: ٨٣/٢.
- (٤٠) المصدر نفسه.
- (٤١) المفصل في صناعة الإعراب: ١/ ١٨.
- (٤٢) تنبيه الألباب: ٦١.
- (٤٣) ينظر: تنبيه الألباب على فضائل الإعراب: ٦١.
- (٤٤) ينظر: لسان العرب: مادة: (عقد): ٣ / ٢٦٩.
- (٤٥) ينظر: درء تعارض العقل والنقل: ١٧١.
- (٤٦) قضايا اللغة في كتب التفسير: ٣٧٨.
- (٤٧) تنبيه الألباب: ٦١.
- (٤٨) الخصائص: ١/ ٢٤٨.
- (٤٩) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: ١٧.
- (٥٠) ينظر: مدارج السالكين: ٣/ ٤٧٤.
- (٥١) ينظر: القاموس المحيط: مادة: (عزل)، ولسان العرب: مادة: (عزل).
- (٥٢) ينظر: الفرق بين الفرق: ٢٠، والملل والنحل: ١/ ٥٠.

- (٥٣) ينظر: تأويل القرآن الكريم ومذاهب الفرق فيه: ٢٢٣.
- (٥٤) ينظر: التعريفات: ٣٤٧، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: ٢١/١ - ٢٢.
- (٥٥) رواه أبو داود، سنن أبي داود، (باب: في القدر) برقم: (٤٦٩١).
- (٥٦) رواه الطبراني في المعجم الأوسط: (باب من اسمه محمد) برقم: (٦٥١٠)، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَلَا لِيَقُمْ خُصَمَاءُ اللَّهِ، أَلَا وَهُمْ الْقَدَرِيُّهُ).
- (٥٧) الملل والنحل: ٤٣/١ - ٤٦، وينظر: التبصير في الدين: ٦٣ - ٦٧، وتأويل القرآن الكريم ومذاهب الفرق فيه: ٢٥٣.
- (٥٨) ينظر: الفرق بين الفرق: ٩٣ / ١، والتبصير في الدين: ٦٧ - ٩٥.
- (٥٩) ينظر المصدر نفسه: ١٧/١٥، وبغية الوعاة: ٢٧٩/٢ - ٢٨٠.
- (٦٠) نشرت مجلة (آداب الرافدين)، العدد: ٤٥، سنة ١٤٢٨ - ٢٠٠٧م، بحثاً بعنوان (النحاة المعتزلة) للباحثين: د. طلال يحيى إبراهيم، وم.م. ثامر عبد الجبار نصيف، وقد سرد فيه الباحثان جملة من أسماء النحويين الذين تبنا الاعتزال مذهباً لهم، فليُنظر.
- (٦١) ينظر: تاريخ بغداد: ٢٧٥/٧، ومعجم البلدان: ٤/٢٦٠، وإنباه الرواة: ١/٢٧٤.
- (٦٢) ينظر: الخصائص: ١/٢٧٧.
- (٦٣) ينظر: معجم الأدباء: ٧/٢٥٧.
- (٦٤) ينظر: نزهة الألباء: ٢٣٢، ومعجم الأدباء: ٧/٢٣٩، وإنباه الرواة: ٢/٢٧٤.
- (٦٥) المقتصد في شرح الإيضاح: ١/٢٣٨ - ٢٣٩.
- (٦٦) الدر المصون: ١٠/٢٥٤ - ٢٥٥.
- (٦٧) ينظر: تاريخ بغداد: ١٣/٢٠٥.
- (٦٨) ينظر: معجم الأدباء: ٤/١٥٨٥.
- (٦٩) ينظر: تاريخ بغداد: ٨/٢١٧.
- (٧٠) ينظر: الخصائص: ١/٧٨، ٢٥٠، ٣٣٨، ٢/٥٥.
- (٧١) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية: ٣١.
- (٧٢) ينظر: طبقات المعتزلة: ١٣١.
- (٧٣) الخصائص: ٢/٤٥٩.

- (٧٤) ينظر: المصدر نفسه.
- (٧٥) ينظر: المصدر نفسه: ٤٥٤/٢.
- (٧٦) ينظر: أنباه الرواة: ٣/ ٢٦٥، وبغية الوعاة: ٢/ ٢٧٩.
- (٧٧) ينظر: وفيات الأعيان: ١٧٣/٥.
- (٧٨) المصدر نفسه: ١٦٨/٥.
- (٧٩) معجم البلدان: ١٢٦/١٩.
- (٨٠) ينظر مثلاً: الكشاف ١/ ٣٤ - ٣٥، ٣٥٣، ٣/ ٦٢٧، و المفصل في صنعة الإعراب: ١٨.
- (٨١) وفيات الأعيان: ١٧٠/ ٥.
- (٨٢) البداية والنهاية: ١٢/ ٢٧٢.
- (٨٣) ينظر: التبصير في الدين: ١/ ١٠١، ١٥١، والملل والنحل: ١/ ٧٨، ٨٨.
- (٨٤) الكشاف: ٢/ ١٤٤ - ١٤٦.
- (٨٥) المفصل في علم العربية: ٣٠٧.
- (٨٦) الكتاب: ١/ ١٣٥ - ١٣٦.
- (٨٧) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٤/ ١٤٨ - ١٤٩.
- (٨٨) شرح قطر الندى: ١/ ٥٨.
- (٨٩) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣٧٤.
- (٩٠) ينظر: شرح التسهيل: ٣/ ٣٣٦.
- (٩١) ينظر: شرح الكافية: ٤/ ٣٦.
- (٩٢) ينظر: شرح التصريح على التوضيح: ٢/ ٣٥٧.
- (٩٣) ينظر: التبصير في الدين: ١/ ٨٢، ٩٠، والملل والنحل: ١/ ٤٥، ٧٨.
- (٩٤) - الكشاف: ٤/ ٥٣ - ٥٤.
- (٩٥) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: ١/ ١٨٨، و ١٩٠.
- (٩٦) ذكر هذا أبو الحسن الأشعري عنهم. ينظر: مقالات الإسلاميين: ١/ ٢٥٣، و ٢٧٣.
- (٩٧) ينظر: مجموع الفتاوى: ٦/ ١٨٥ - ١٨٦.
- (٩٨) ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: ٢/ ٣٠٦، ومجموع الفتاوى:
- ١٨٥ - ١٨٦/ ٦.
- (٩٩) الكشاف: ١: ١٢٥ - ١٢٦.

- (١٠٠) ينظر: الدر المصون ١/٢٦٢.
- (١٠١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١/٥١٣.
- (١٠٢) ينظر: كتاب المواقف: ٣/٦٥٩.
- (١٠٣) ينظر مجموع الفتاوى: ٣/٩٨ - ١٠٠.
- (١٠٤) مدارج السالكين: ٣/٤٧٤.
- (١٠٥) ينظر: حجة القراءات: ١/٥٨، وإتحاف فضلاء البشر: ١/٢٢٠.
- (١٠٦) ينظر: حجة القراءات: ١/٥٨، وإتحاف فضلاء البشر: ١/٢٢٠.
- (١٠٧) ينظر قراءة الكسائي: الحجة للقراء السبعة: ٣/٢٢، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١/٢٢١،
- (١٠٨) قرأ بهذه القراءة نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر، ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣/٢٢، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١/٢٢١.
- (١٠٩) الدر المصون: ٣/٨٣-٨٤، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٥/١٠١-١٠٢.
- (١١٠) المصدر نفسه.
- (١١١) الحجة للقراء السبعة: ٣/٢٣.
- (١١٢) الكشاف: ١/٣٤٥، وينظر: الدر المصون: ٣/٨٥.
- (١١٣) الكشاف: ١/٣٤٥.
- (١١٤) البحر المحيط: ٣/٦٨، و ينظر: الدر المصون: ٣/٨٤.
- (١١٥) ينظر: الدر المصون: ٣/٨٤ - ٨٥.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي، تأليف: د. فتحي عبد الفتاح الدجيني، ط ١، وكالة المطبوعات للنشر، الكويت، ١٩٧٤م.
٢. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر المسمى (منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات)، البناء الدمياطي (الشيخ احمد بن محمد ت ١١١٧هـ)، صححه وعلق عليه: علي محمد الضباع، د.ط، (نشره عبد الحميد أحمد حنفي)، د.ت.

٣. أخبار النحويين البصريين، تأليف: أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت٣٦٨هـ)، اعتنى بتهديبه فرنسيس كرنكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٦م.
٤. الأصول في النحو، ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي ت٣١٦هـ). تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، ط٢، (مؤسسة الرسالة) بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٥. الأصول: تأليف: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٦. الأغاني، الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد)، تحقيق: سمير جابر، ط٢، (دار الفكر) بيروت، د.ت.
٧. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية (نقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي) (ت٧٢٨هـ)، ط٧، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت-لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٨. إنباه الرواة على أنباه النحاة: تأليف: الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٢٤هـ)، ط١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
٩. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، ط١، (أضواء السلف)، بالرياض، ١٩٩٩م.
١٠. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، (دار الجيل) بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
١١. البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية- التأثير والتأثر: تأليف: د. أحمد مختار عمر، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
١٢. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي، والدكتور أحمد النجولي الجمل، ط١، (دار الكتب العلمية) بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
١٣. البداية والنهاية، ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي) (ت٧٧٤هـ). د.ط، دار الفكر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١٤. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، (المكتبة العصرية)، صيدا- لبنان، د.ت.
١٥. تاريخ العربية: تأليف: د. عبد الحسين محمد ود. رشيد عبد الرحمن العبيدي، ود. طارق عبد عون، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر.
١٦. تأويل القرآن الكريم ومذاهب الفرق فيه، الدكتور محمد بديع موسى، ط١، دار الإعلام، بالأردن - عمان، ٢٠٠٨م.
١٧. التبصرة في القراءات السبع، القيسي (أبو محمد مكي بن أبي طالب ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: محمد عزت الندوي، ط٢، (نشر الدار السلفية)، بالهند، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
١٨. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، الأسفراييني (أبو المظفر طاهر بن محمد ت ٤٧١هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، (عالم الكتب)، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١٩. التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، (دار الكتاب العربي)، بيروت، ١٤٠٥.
٢٠. تنبيه الألباب على فضائل الإعراب، الشنتريني (أبو بكر محمد بن عبد الملك ت ٥٤٩هـ)، ط١، تحقيق: د. معيض ابن العوفي، دار المدني بجده، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٢١. تهذيب تاريخ مدينة دمشق، تأليف: ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
٢٢. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري ت ٦٧١هـ)، (دار الشعب)، بالقاهرة، د.ت.
٢٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب ت ٤٦٣هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، د.ت.
٢٤. حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: دار الفكر، بيروت- لبنان، ط: ١، ١٩٩٩هـ/١٤١٩م.
٢٥. حجة القراءات، أبو زرعة (عبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة ت حوالي ٤٠٣هـ)، د.ط، حققه وعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، د.ت.

٢٦. الخصائص، ابن جنبي (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، د.ط، (عالم الكتب)، بيروت، د.ت.
٢٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخرين، ط ١، (دار الكتب العلمية) بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٨. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع على نفقة جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض،، ط ١ ١٣٩٩هـ.
٢٩. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنبي، الدكتور حسام النعيمي، دار الطليعة، بغداد ١٩٨٠م.
٣٠. سبب وضع اللغة العربية، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ).. تحقيق: مروان العطية، ط ١، (دار الهجرة)، بيروت- دمشق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
٣١. السبعة في القراءات، ابن مجاهد (أبو بكر احمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، ط ٢، (نشر دار المعارف)، بمصر، ١٤٠٠هـ.
٣٢. سنن أبي داود، أبو داود السجستاني (سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، (المكتبة العصرية)، بصيدا- بيروت، د.ت.
٣٣. سير أعلام النبلاء، الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت ٧٤٨هـ)، د.ط، (دار الحديث) بالقاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٣٤. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله العقيلي المصري الهمداني ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢، (دار الفكر)، بدمشق، ١٩٨٥م.
٣٥. شرح التسهيل تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك الأندلسي (جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجبالي ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، ط ١، (دار الكتب العلمية) بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٣٦. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، الأزهرري (الشيخ خالد بن عبد الله ت ٩٠٥هـ). إعداد: محمد باسل عيون السود، ط ١، (دار الكتب العلمية) بيروت، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

٣٧. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحي الدمشقي (ت ٧٩٢هـ)، ط ١٠، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٣٨. شرح الكافية في النحو (لابن الحاجب ت ٦٤٦هـ)، الاستريادي (الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن ت ٦٨٦هـ)، قدم له ووضع حواشيه: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط ١، (دار الكتب العلمية)، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٣٩. شرح المفصل: تأليف: أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق وضبط وإخراج: أحمد السيد سيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.
٤٠. شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١١، القاهرة، ١٣٨٣.
٤١. الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس (أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، ط ١، الناشر: محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٤٢. الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: تأليف: الإمام أبي الحسن بن فارس بن زكريا المعروف بـ(ابن فارس) (ت ٣٩٥هـ) علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٤٣. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري (إسماعيل بن حماد ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، د.ط، (دار الكتاب العربي) بالقاهرة، ١٩٥٦م.
٤٤. طبقات النحويين واللغويين، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط ٢.
٤٥. طريق النحو، تأليف: د. كامل جميل ولويل، دار الحامد، عمان، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٤٦. عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.
٤٧. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، ط ٢، (دار الآفاق الجديدة)، بيروت، ١٩٧٧.

٤٨. الفهرست، تأليف: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بابن النديم (ت ٣٨٠هـ)، ضبطه وشرحه وعلّق عليه: د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٤٩. القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥٠. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، دار المعارف، القاهرة- مصر، ١٩٦٨م.
٥١. كتاب المواقف، الإيجي (عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد)، ط ١، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧.
٥٢. الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٣، (مكتبة الخانجي) بالقاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٥٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، د.ط (دار إحياء التراث العربي)، بيروت، د.ت.
٥٤. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي (أبو حفص عمر بن علي الدمشقي ت بعد ٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، والدكتور محمد سعد رمضان حسن، والدكتور محمد المتولي الدسوقي حرب، ط ١، (دار الكتب العلمية)، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٥٥. لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١هـ). د.ط، (دار المعارف) بمصر، ١٩٨١م.
٥٦. مجموع الفتاوى، ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني) ت ٧٢٨هـ). د.ط، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٥٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، ط ٣، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م

٥٨. المدارس النحوية، تأليف: د. خديجة الحديثي، دار الأمل، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٥٩. المدارس النحوية، تأليف: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٧.
٦٠. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، تأليف: د. مهدي المخزومي، دار المعرفة، بغداد، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
٦١. مراتب النحويين، تأليف: أبي الطيب محمد بن عبد الواحد اللغوي (ت ٣٥١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي.
٦٢. المصطلح النحوي (نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري)، تأليف: عوض الفوزي، عمادة شؤون المكتبات - الرياض، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٦٣. معجم الأديباء: تأليف: أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٦٤. المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، د.ط، (دار الحرمين) بالقاهرة، د.ت.
٦٥. معجم البلدان، ياقوت الحموي (الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي). د.ط، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٦٦. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط: ٦، (دار الفكر) بدمشق، ١٩٨٥.
٦٧. المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله ت ٥٣٨هـ)، ط١، تحقيق: د. علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣.
٦٨. المفصل في علم العربية، الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ)، ط٢، (دار الجبل)، بيروت - لبنان، د.ت.
٦٩. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو موسى الأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، ط١، (المكتبة العصرية)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٧٠. المقتصد في شرح الإيضاح، الجرجاني، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٢م.
٧١. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، د. ط، (دار المعرفة)، بيروت، ١٤٠٤.
٧٢. المنهاج في شرح صحيح مسلم، (شرح النووي على صحيح مسلم)، النووي (محيي الدين أبو زكريا (ت ٦٧٦هـ))، ط ١، طبعة بيت الأفكار الدولية، عمان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٧٣. الموافقات، الشاطبي (إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ))، ط ١، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٧٤. النحو العربي نقد وبناء: تأليف: د. إبراهيم السامرائي، دار صادق، بيروت.
٧٥. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ). د. ط، تحقيق: د. أحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، مطبعة الغريب، د. ت.